www.abulhasanalinadwi.org

ابو الحسن علي الحسني الندوي

نظرة مؤمن واع إلى المدنيات المعاصرة الزائفة

الناشر :
دار عرفات (للنشر والترجمة والتوزيع)
دارة الشيخ علم الله الحسنى رائى بريلى (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

ابو الحسن علي الحسني الندوي

نظرة مؤمن واع إلى المدنيات المعاصرة الزائفة

الناشر :
دار عرفات (للنشر والترجمة والتوزيع)
دارة الشيخ علم الله الحسنى رائى بريلى (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

« و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه و رزق ربك خير و أبقى »

(قرآن كريم)

مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

هذه المحاضرة

[هذه المحاضرة القاها سماحة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى فى ٣/محرم الحرام ١٣٩٧هـ (٢٣/ ١٢/ ١٩٧٦م) فى الديوان الأميرى، بمدينة أبو ظبى مركز الامارات العربية المتحدة فى الخليج العربى، التى زارها على دعوة من سماحة الشيخ أحمد عبد العزيز آل مبارك رئيس القضا الشرعى، و قد حضر الاجتماع عدد كبير من الوجهاء المثقفين والأساتذة والمربين وقدم المحاضر المؤتمر إلى المحفل الكريم فضيلة الشيخ أحمد إسماعيل البيلى قاضى المحكمة الشرعية، وأشاد بجوانب شخصيته العديدة ومؤلفاته المتنوعة و كان للمحاضرة دوى فى جميع الأوساط.

و قد نقل هذه المحاضرة من الشريط الأستاذ محمد واضح رشيد الندوى أستاذ الأدب العربى فى دارالعلوم ندوة العلماء، وكان مرافقاً للشيخ الندوى و أجرى عليها المحاضر تعديلات و إضافات مفيدة ونقل النصوص التاريخية بلفظها و أحال إلى المراجع، و صحح بعض الأخطاء التى وقعت فى الكلمة التى ارتجلها.

و ها هى بين يدى القراء منقحة مزيدة]

(الناشر)

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

قال بعد ما حمد الله تعالى و أثنى عليه بما هو أهله .
و صلى و سلم على نبيه ﷺ :

سادتى و إخوانى ! قصة يرويها المؤرخون العرب ، نمر بها مراً سريعاً عابراً ، تستحق منا لفتة كريمة عميقة . و بها أفتتح حديثى هذا ، و لها اتصال وثيق بالموضوع ، و هى تدل على وضعية نظرة المؤمن الواعى إلى المدنيات المعاصرة الزائفة . لعلكم أيضاً مررتم بهذه القصة فيما قرأتم من كتب تاريخ الفتوح الاسلامية . فى العصر الأول ، و لست أدرى هل استوقفتكم هذه القصة كما استوقفتنى ، وهل استلهمتم منها تلك المعانى الواسعة العميقة والنتائج الكبيرة الخطيرة التى استلهمتها . وقد تلفت قصة أو حديث قارئاً من عامة القراء ، و لا يلفت ذلك الحديث قراء آخرين ، وإن كانوا يفوقون القارىء الأول فى كثير من الفضائل العلمية و النبوغ و بعد النظر و العمق .

www.abulhasanalinadwi.org

قصة رواها المؤرخون العرب ، على عادتهم فى بساطة و اختصار ، و من غير تعليق و استنتاج ، يقولون : إن « رستم » (١) قائد قواد الفرس طلب من سيدنا سعد بن أبى وقاص قائد جيوش المسلمين فى فارس أن يرسل إليه رجلا يستوضحه عن أغراض هذا الغزو الذى لم يكن للفرس به عهد ، و لم يكن للعرب به شأن ، إنما عرف العرب بالانطواء على نفوسهم فى باديتهم قروناً طويلة ، فكانت هذه مفاجأة لم يكن الفرس يتوقعونها ، و العرب قد عرفوا بالقناعة والتقشف فى الحياة ، و الانعزال عن العالم الخارجى فى عامة الأحوال .

(١) كان قائد الجيوش فى إيران و وزير الحربية فيها و كان من أبطال الفرس المعدودين الذين يضرب بهم المثل فى الشجاعة و الشدة ، و هو الذى سعى فى تنصيب الملك يزدجرد الثالث سنة ٦٣٢م ، و قلد مهمة دفع العرب المسلمين حين قدومهم لفتح فارس وقتل سنة ٦٣٥م (محرم ١٤هـ) فى يوم القادسية وكان من بيوتات السبعة التى تم شرفها ، و كانت قيمة قلنسوته مأة ألف وهى علامة من تم شرفه فى ذاك العهد . (ملخصاً من كتب التاريخ)

www.abulhasanalinadwi.org

و عدم الطموح إلى فتح امبراطوريات جاورتهم ، فلما خرج العرب لأول مرة فى التاريخ الطويل يغزون فارس و الروم ، استلفت ذلك نظر المتأملين ، ونظر الذين واجهوا هذا الغزو وجهاً لوجه ، فأرسل سعد ، ربعى بن عامر (١) ، و كان « رستم » قد بالغ فى التزيين ، و بالأصح التهويل ، قد زين مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابى الحريرية ، وأظهر اليواقيت و اللآلى الثمينة و الزينة العظيمة و عليه تاج و غير ذلك من الأمتعة الثمينة ، و قد جلس على سرير من ذهب (٢) . جاء ربعى بن عامر لا يكترث بشئ ، ولا يحتفل بهذه الزينة العظيمة ، التى لم يعهدها ، فجلس بجنب « رستم » كأنه جالس بجوار رجل من زملائه ، فقال « رستم » : ما جاء بكم ؟

(١) كان من الصحابة كما صرح به الحافظ ابن حجر فى كتابه «الاصابة فى تمييز الصحابة » و كان من أشراف العرب ، ولاه الاحنف على « طخارستان » راجع « الاصابة فى تمييز الصحابة » ج ١ ، ص ٥٠٣ .

(٢) راجع « البداية والنهاية » لابن كثير ج ٧ ص ٣٩ ، طبع بيروت ١٩٦٦م .

www.abulhasanalinadwi.org

فقال : « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه » (١) .

أيها الاخوة ! إنني لا أريد أن أتناول هذه الأجزاء الثلاثة التي جاءت في هذه الكلمة البسيطة البليغة كلها شرحاً و إيضاحاً ، ولكنني أتناول شيئاً واحداً ، وهو قول ذلك المؤمن الواعي يخاطب « رستم » و هو في غاية أبهته ، وفي زهوه ، و على قمة مجده ، يقول له : « من ضيق الدنيا إلى سعتها » إنني لا أستغرب قوله : « لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله » و لا من قوله : « من جور الأديان إلى عدل الاسلام » فقد كان كل ذلك حقيقة بديهية للمسلمين الذين غرس رسول الله ﷺ عقيدة التوحيد في نفوسهم ،

(١) « البداية و النهاية » لابن كثير ج ٧ ، ص ٣٩ طبع بيروت ١٩٦٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

و حبب الله إليهم الايمـان و زينه فى قلوبهم ، و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان ، ينظرون إلى جميع أنواع الشرك و الوثنية و عبادة الانسان للانسان ، بعين الازدراء والاحتقار ، وكانوا يعافونها ، وكانت أذواقهم تمجها وتأباها ، و كان ربعى بن عامر يعرف أن ملوك فارس و أمراءها قد استعبدوا الناس ، و كانوا يعاملونهم معاملة الآلهـة للعباد ، لا معاملة السادة للعبيد ، و كان الناس يكفرون (١) لهـم و يسجدون ، و يرون أنهم فوق البشر ، يجرى فى عروقهم دم إلهى مقدس (٢) ، و كانوا يؤمنون بأن الاسلام هو الشريعة العادلة ، و أن غيره من الأديان قد أصبحت جائرة تستعبد الانسان للانسان ، و تسخره للأحبار و الرهبـان ، و تقيده بأغلال وقيود وأحكام ما أنزل الله بها من سلطان ،

(١) كفر الرجل للرجل : خضع بأن يضع يده على صدره ، ويطأطئ رأسه و يتطأمن تعظيماً له .

(٢) راجع للتفصيل كتاب « إيران فى عهد الساسانيين » لآرتهر كرستن سين .

www.abulhasanalinadwi.org

و قد قرأوا قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة و الانجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التى كانت عليهم » (١) . و قرأوا قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله » (٢) . و قد آمنوا بذلك وشاهدوا آثارها فى الأمم والديانات التى عرفوها ، كنصارى الروم ، و مجوس فارس ، و يهود المدينة .

ولو قال ربعى بن عامر « لنخرج من شاء من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة » لم أستغرب ذلك ، لأنه آمن بالآخرة التى لا آخر لها ، و بالجنة التى لا حد لهـا و لا نهاية ،

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٣٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

و قد قرأ فى الكتاب الذى قرأه و آمن به و عاش فيه « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السماوات و الأرض ، أعدت للمتقين » (١) ، و يقول رسول الله ﷺ فى غزوة بدر : « قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض » (٢) . و قال : « موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا و ما فيها » (٣) .

ولكننى استغرب قوله : « من ضيق الدنيا إلى سعتها ، هنا أتساءل : ما هو الضيق الذى كان فيه الفرس ، و ما هى السعة التى كان فيها العرب ؟ حتى ساغ لربعى بن عامر رضى الله عنه ، أن يقول : إنا معشر العرب المسلمين نريد أن نخرجكم أيها الفرس الأشقياء المنكوبون ! من ضيق الدنيا إلى

---

(١) آل عمران الآية ١٣٣ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) حديث متفق عليه رواه أبو هريرة رضى الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

سعتها . هل كان ما كان فيه العرب يستحق أن يسمى السعة ، و هل كان ما كان فيه الفرس يستحق أن يسمى الضيق ؟ و نسأل التاريخ عن ذلك ، و هو شاهد عدل ، و تاريخ العرب و تاريخ الروم و الفرس مسجل مدون ، لا يتطرق إليه الشك ، قد جاء برواية الرواة العادلين الموثوق بهم ، و تضافرت الروايات و الشهادات على ذلك ، فاذا كان العرب يعيشون فى بحبوحة من العيش ، لم يكن ذلك مجهولا أغفله التاريخ ، و إذا كان الفرس يعيشون فى ضيق لم يكن ذلك خافياً .

و قد قرر التاريخ و أجمع المؤرخون على أن الفرس و الروم كانوا يعيشون فى رغد من العيش ، و يتقلبون فى أعطاف النعيم ، قد اتسعت لهم الدنيا ، ولانت لهم الحياة ، أما العرب فبالعكس كانوا يعيشون - حتى بعد الاسلام - فى شظف ، و كان العهد عهد خلافة عمر ، و كان الناس على

www.abulhasanalinadwi.org

الفطرة — العربية الاسلامية — و كانت المدنية لم تتعقد و لم تتوسع بعد ، و كان عمر — و هو خليفة المسلمين — يعيش حياة متقشفة زاهدة ، ويأخذ الناس بالتقشف والتخشن فى الحياة ، وكانت هذه الحياة التى يحياها العرب فى الجزيرة ، حياة بداوة و تخلف فى نظر الفرس و الروم ، و كانوا يتأسفون على حالهم ، ويرون أنهم فى جهد من العيش وضيق من الدنيا .

فهنا نتساءل : ما هو الضيق الذى كان فيه الفرس ، حتى رثى له ذلك المسلم العربى ، و ما كانت السعة التى كان فيها العرب ، حتى افتخر بها ذلك الصحابى ؟ هل هو ضرب من ضروب المبالغات الشعرية ؟ إن العرب لم يتعودوا ذلك ، إن الاسلام لم يبح لأى واحد من أفراد الأمة المسلمة أن يتبجح (١) ، ويبالغ هذه المبالغة الشعرية ، إنهم كانوا بعيدين

(١) يتبجح : يفتخر ويتعظم و يتباهى .

www.abulhasanalinadwi.org

كل البعد عن المبالغات و القول الجزاف ، كانوا أصحاب جد و صدق ، أصحاب صراحة و شجاعة ، فما هو الضيق إنه كان إذا دخل هـــذا المجلس بل إذا دخل فى حدود المملكة الفارسية العظيمة ، كان جديراً كل الجدارة بأن يسيل لعابه ، و يتحلب فمه على هذه الزخارف التى كان يتمتع بها الفرس ، وعلى هذه الأنواع من الأطعمة والأشربة ، إنه لا بد قـــد شاهد الكثير من نفائس الأشياء و غوالى الطرف ، ومظاهر الحضارة و الأناقة والترف ، إنه واجه هذه المدنية الزاهية الزاهرة ، التى بلغت قمتها و مجـــدها ، فقد و سعها الفرس بذكائهم و اختراعهم ، و بتجاربهم الطويلة الأمد ، وبمغانمهم الكثيرة و فتوحهم الواسعة ، و كانت فيها مدن بقصورهـا الفاخرة ، و مبانيها العظيمة ، و حدائقها الغناء ، ومنتزهاتها الساحرة ، وأسواقها الزاخرة ، و طرقها وواردتها العظيمة ، فمن أى نوع كان هؤلاء العرب الذين تمردوا وقسوا عـــلى

www.abulhasanalinadwi.org

هذه المظاهر الفتانة ، المظاهر التى يحن بها الانسان جنوناً ؟

إنه لا ينقضى عجبى من قوله : « إن الله ابتعثنا (أيها الفرس) لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها » لماذا ؟ لأنه كان ينظر إلى هؤلاء الملوك و الأمراء ، كما ينظر العاقل إلى دمى قد كسيت ملابس فاخرة جميلة ، إلى تماثيل قد أحكمت صناعتها . و تأنق صانعوها فى تصوير قسماتها و ملامحها . و لكنها على كل حال تماثيل من حجر ، أو جبس ، لاحياة فيها ولا حراك بها ، كان ربعى بن عامر - وهو أحد أفراد الجيش الاسلامى - ينظر إلى « رستم » كطائر مدلل فى قفص من ذهب ، و كان كسرى يزدجرد - الذى لم يره بعد - كذلك كعندليب و كطاؤس أو كأى أجمل طائر ، لكنه على كل حال ، طائر محبوس ، هذا الطائر يوضع فى قفص ، و القفص من ذهب ، أسلاكه كلها من ذهب ، و الاناء الذى يأكل و يشرب فيه الطائر ، من ذهب كذلك ، و لكن هل

www.abulhasanalinadwi.org

يحسد هذا القطائر أى إنسان عرف قيمة الحياة ، و عرف قيمة الحرية و الشعور ، و عرف قيمة العقل ، وعرف قيمة العلم ؟ هل يحسد هذا الانسان الذى أكرمه الله بالانسانية ، يحسد هذا الطائر المدلل ، لأنه فى قفص من ذهب ، و هو فى بيت من مدر أو وبر ، بل نخطو خطوة أخرى ، هل نحسد كلباً مدللا ، كلباً يربيه صاحبه الأوربى ، و يغذيه بأطايب الطعام و لذيذ الفاكهة ، و يسقيه اللبن ، و يقلده قلادة ذهبية ، و ينيمه على فراش وثير ناعم ؟ !

إن نظرة ربعى بن عامر لم تكن تختلف عن نظرتنا إلى طائر مدلل فى قفص ذهبى ، أو إلى كلب مدلل عند سيد أوربى ، و ذلك كله لأنه كان كبير الاعتزاز بالعقيدة التى آمن بها ، و بالدعوة التى حملها ، و بالشخصية التى ملكها ، و بالرسالة التى اضطلع بها ، و بالقرآن الذى درسه و شغف به ، و أحبه ، إنه كان معتزاً بالمعانى و بالقيم وبالحقائق التى

www.abulhasanalinadwi.org

هى أسمى من تلك الزخارف والمظاهر ، فلم تبهره هذه المدنية ، و لم تسحره مفاتنها ، إنه كان يعرف أن « رستم » و لو كان قائد قواد الفرس ، يعبد النار ، ثم إنه يعبد نفسه ، كما أنه يعبد سيده ، و يعبد عاداته .

وليست القضية قضية « رستم » أوقضية قائد من القواد ، أو أمير من أمراء الفرس ، بل هـذا هو الشأن مع سيدهم جميعاً ، مع الامبراطور يزدجر ، إنه كان يعرف أنه عبد لعاداته ، أو عبد لعبيده ، لا يستطيع أن يتحرك إلا بهم ، و لا يستطيع أن يصول و يجول إلا على أكتافهم ؛ إنه ليس إنساناً حراً ، بأى معنى من معانى الكلمـــة ، بل هو إنسان استعبدته الشهوات ، و استعبدته العادات ، و استعبدته الأعراف ، و استعبدته المظاهر ، و استعبدته النفس الأمارة بالسوء ، و استعبدته اللذات الجسدية الخسيسة ، و المطالب الحيوانية الحقيرة .

www.abulhasanalinadwi.org

أنتم تعرفون أن الامبراطور « يزدجرد » هو ثانى الامبراطورين العظيمين اللذين توزعا العالم المتمدن المعمور : كسرى إيران ، و قيصر الروم ، و قد انتهت بى دراستى الحديثة للتاريخ المعاصر للفتح الاسلامى ، إلى أن إمبراطورية الفرس كانت تفوق الامبراطورية البازنطينية ، كانت أوسع منها ، و كانت ولايات من الهند تحت حكم الايرانيين . منها ولايات موغلة فى الهند ، و لكن هذا الامبراطور العظيم ، قد روى عنه التاريخ أنه لما هرب من عاصمته « المدائن » ناجياً بنفسه ، و كان فى حالة اللجوء والفرار ، حمل معه ألف طاه (طباخ) هل تصدقون ألف طباخ ، و ألف مغن ، وألف قيم للصقور والنمور ثم كان يقول : ياويل نفسى إننى لم آخذ معى إلا هذا العدد القليل من الأعوان و من الخدم و الحشم ، كان يقول أنا أستحق الرحمة و الرثاء ، فهل بعد هذا الرجل رجلا حراً سعيداً ، صاحب شخصية ، و صاحب

www.abulhasanalinadwi.org

إرادة ، ثم إنه لما لجأ إلى عجوز فقيرة ، و قدمت له الطعام و هى ترثى له ، و قد توسمت فيه الملك والشرف ، قال : لا أستطيع أن استسيغ هذا الطعام حتى يغنى لى (١) .

إلى هذه النقطة وصلت عبوديتهم ، و وصل رقهم ، و وصل خضوعهم للعادات القاهرة ، إنه لم يكن يستطيع أن يتناول طعاماً وهو فى حاجة إلى الطعام ، حتى يغنى له المغنون أما من غير أغنية ، فهو غير قادر على أن يتناول الطعام .

و نذكر أن « الهرمزان » ـ ملك الأهواز ، و أحد كبار أمراء الفرس ـ لما أسر ، و جاء إلى سيدنا عمر رضى الله عنه فى المدينة ، و كان ـ رضى الله عنه ـ نائماً فى المسجد متوسداً برنسه ، فاستيقظ بالجلبة ، و دار الحوار بينه و بين عمر ـ رضى الله عنه ـ وشعر « الهرمزان » بالعطش فطلب

(١) راجع للتفاصيل « إيران فى عهد الساسانيين » لآرثر كرستنسين ، وكتاب المؤلف « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » الفصل الثانى من الباب الأول

www.abulhasanalinadwi.org

الماء ، فأتى به فى قدح غليظ ، فقال : لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب فى مثل هذا ، فأتى به فى إنا يرضاه ، فشرب (١) .

و نبه أمير المؤمنين أصحابه على ذلك ، و حثهم على الحمد لله تبارك وتعالى ، والشكر على نعمة الاسلام ، الاسلام الذى حررهم من هذه العبوديات ، و من هذه الأصنام التى ينحتها الانسان بنفسه ، ثم يفرضها على نفسه ، و يقول إبراهيم عليه السلام : « أتعبدون ما تنحتون » وهذه عادات وأعراف إنما نضعها نحن و نتفق عليها ، إنه لا يعتبر الانسان شريفاً إلا إذا سكن فى كذا من البيوت ، و لبس كذا من اللباس و ظهر فى المظهر الفلانى ، و كان له من الأثاث و الرياش كذا و كذا ، و إن الفرس فى العصر الذى نتحدث عنه ، كانوا يعيرون الرجل الكبير الذى لا تبلغ قيمة قلنسوته مأة ألف ، ومن بلغ نصف الشرف ، كانت قيمة قلنسوته خمسين

(١) تاريخ الطبرى ٤ / ٢١٧ ، و فتوح البلدان / ٣٧٤ .

www.abulhasanalinadwi.org

ألفاً ، و كانت منطقة كبرائهم تقوم بخمسين ألفاً (١) .

و هذه الأعراف والمثل كلها من مخترعات الناس التى « ما أنزل الله بها من سلطان » أليست هذه المدنية الأوربية مجموعة من الأعراف المصطنعة ، والقيود المزورة ، والمصطلحات الموضوعة ، و الالتزامات التى التزمها الأوربيون ومن قلدهم ، ما هو مصدرها ، و من أين جاءت هـذه الالتزامات التى التزمناها ؟ و قد خضعنا لتأثير هذه الحضارة و ابتعدنا عن الطبيعة و التقشف الذى عرف به العرب ، و حث عليـه المربون للأمة الاسلامية ، كعمر بن الخطاب رضى الله عنه (٢) .

---

(١) راجع تاريخ الطبرى ٤ / ٦ ـ ١١ ـ ١٣٤ .

(٢) فقد كتب إلى بعض عماله العرب وهم فى بلاد العجم: « إياكم والتنعم وزى العجم، وعليكم بالشمس، فانها حمام العرب ، وتمعددوا (يعنى تشبهوا بعيش معد بن عدنان، وكان ذا غلظ وتقشف) واخشوشنوا (أى تخشنوا فى المطعم و الملبس)... الخ » رواه البغوى عن عثمان النهدى .

www.abulhasanalinadwi.org

و كان ربعى بن عامر بنظره البعيد ، و بإيمانه القوى و علمه العميق ، و إن كان قصير النظر فى عين كثير من الذين يدعون العلم و المدنية ، ينظر إلى هذه الالتزامات التى التزمها الفرس كقيود وأغلال ، و أطواق و أصفاد ، وهو لا يعرف منها إلا قليلا ، و لكن الذى عرفه كان كثيراً ، و كان كافياً للشهادة ، و بذلك استطاع أن يقول : « الله ابتعثنا لنخرجكم من ضيق الدنيا إلى سعتها » أيها الفرس لا تغرنكم أنفسكم ، ولا تخدعنكم هذه البهرجة ، لا تخدعنكم هذه المظاهر الجوفاء ، أنتم تعيشون فى قفص ، و القفص قفص ، وإن كان من ذهب ، القفص قفص ، وإن كان من زجاج ، القفص قفص و إن كان واسعاً سعة المدينة ، ولكنه قفص ، ما هو السجن ، لماذا يسمى سجناً ؟ ألا يكون واسعاً ، ألا تكون فيه الغرف ، الغرف التى قد لا يوجد مثلها فى بيوت كثير من أوساط الناس ، لكنه سجن على كل حال ، و ليس

www.abulhasanalinadwi.org

منا من يريد أن يعيش فى السجن ، مهما توفرت فيه أسباب الراحة و الرفاهية ، و مهما اتسع و انفسح . و كانت فيه حدائق و برك ، ومتاحف و منتزهات .

إن هذا العربى المسلم الواعى الذى كان بعيداً عن كل ظل من ظلال ما نسميه اليوم بـ « مركب النقص » و من كل شبح من أشباح الانهزامية و فقدان الثقة ، لو عاش إلى هذا العصر ، لنظر إلى المدنية الغربيـــة ، و المدنيـة الباذخة التى يعيشها العرب ، و المسلمون فى كثير من بلادهم ، لنظر إليها بنفس النظرة التى نظر بها إلى المدنية الايرانية ، والمدنية الرومانية ، ولرثى لأهلها كما رثى للفرس و الروم . وتمنى أن يخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعتها ، كما تمنى ذلك للفرس و الروم .

كان هذا العربى يتنعم بالحرية التى عرفه بها الاسلام ، فنقله من دنيا ضيقة محدودة خانقة : دنيا المعدة و المادة ،

www.abulhasanalinadwi.org

و دنيا الشهوات و الأغراض ، و دنيا العبودية والاستعباد ، دنيا الحياة الفانيـــة الزائلة المكدرة بالهموم و الأمراض ، و الأحزان و الآلام ، إلى دنيـا واسعة غير محدودة ، إلى دنيا اليقين و الايمان ، إلى دنيا القلب و الروح ، والايثار و المواساة ، و العدل و المساواة ، و العطف و الرحمة ، و الطيب و الصفاء ، و الخلود و البقاء ، دنيا لا كدر فيها و لا فساد ، و لا خوف فيها و لا حزن ، إنه كان يتمتع بهذا النعيم الذى حرمه الفرس و الرومان فى وقت واحد ، فكان ينظر إلى مدنية الفرس و الروم و حياتهم كقفص ضيق يختنق فيه الانسان الحر الكريم ، المؤمن الواعى ، كما تختنق السمكة إذا أخرجت من الماء ، و وضعت على فراش وثير ناعم أو فى علبة ذهبية مزخرفة .

هذه نظرة أعرابى مسلم ، فكيف نظرتنا نحن أيها الاخوان المثقفون ، أيها المعلمون الكبار ، يا أساتذة الجامعات

www.abulhasanalinadwi.org

يا موجهى التربيـة و التعليم ، يا حملة الأقلام ، يا سائحون فى أوربا ! كيف نظرتنا إلى المدنية المعـاصرة الزائفة ، هل هناك نسبة بين نظرة ذلك الأعرابى الذى لاثقافة له ، والذى لم يعرف العالم مثلما عرفنا ، و لم يدرس التاريخ مثلما درسنا ، و لم يعرف تجارب الأمم مثلما عرفنا ، و لم يقرأ الفلسفات و لم يتعمق فيها كما تعمقنا ، هذه نظرة رجل من العرب ملأه رسول الله ﷺ ، و ملأه الاسلام ثقة واعتزازاً ، وإيماناً و شجاعة ، و احتقاراً للدنيا و معرفـة للحقيقة ، كان يستطيع أن يقول لأكبر قائد فى العالم المعاصر « رستم » ، الذى كان اسمه يخلع القلوب ، و كان بعـد كسرى ، و فوق كل قائد و أمير فى فارس ، كان يستطيع أن يقول له و بصوت ملؤه التحكم و التهكم : أنا أرثى لك يا رستم ، أنت فى الشقاء ، أنت فى ضيق من الدنيا ، ونحن العرب المسلمين الذين أبدانهم نصف عارية ، و الذين أجفان سيوفهم بالية وثيابهم مرقعة ،

www.abulhasanalinadwi.org

ونعالهم مخصوفة ، نحن نعيش فى الجنة وأنت تعيش فى جهنم.

ما الذى حمله على هذا القول ، القول الجريئ القوى ، الكلمة المدوية المجلجلة ؟ إنما هو إيمـــانه و ثقته بشخصيته ، و بفضل رسالته و التعاليم التى أكرمه الله بها ، فكم منا أيها الاخوان ! قولوا لى بصراحة ، كم منا فى جامعاتنا ، و فى مكاتبنا ، و فى مكتباتنا ، و كم منا فى أدبنا ، و فى شعرنا ، وصحافتنا ، من يستطيع أن يخاطب أوربياً أو أمريكياً ، يعيش على فتات مائدتنا ، نحن الذين يغذونهم ، فلولا هـــذا النفط الذى يفيض من جزيرتكم ، لما كان لأمريكا ، و لما كان لأوربا هذه الصولة ، الأوربى الذى أفلس فى إيمانه ، و فى خلقه ، و فى شخصيته ، و هو الآن مصاب بالجذام الخلقى ، و بذلك دخلت حضارته فى دور التفسخ و التعفن ، و هو لا يعرف لها علاجاً و لا يملك لها زماماً ، تاجر مرتزق ، مستأثر مستغل ، تنكر للمسيحية قبل مدة طويلة ، فانقطع آخر

www.abulhasanalinadwi.org

خيط كان يربطه بالسماء و بالنبوات و الأخلاق ، بل بالعكس ينظر إليه نظرة تمجيد و إجلال ، نظرة تقديس و تأليه ، و تحتقر نفوسنا و حضارتنا و مثلنا و ديننا ، أمام حضارته و مثله ، و تذوب أمامـــه كما يذوب الندى أمام الشمس ، و الشمع أمام وهج النـار ، ذاك العـربى المسلم الذى عرف قيمته و قيمة رسالته ، يقول لرستم « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من ضيق الدنيا إلى سعتها » و الله إن هذه الكلمة لو وضعت على الجبال لزالت ، ولو وضعت على البحر لتبخر ، فكيف بالقلوب ، كيف بالنفوس ، كيف بالضمائر ، هـــذه النظرة التى كان ينظر بها المؤمن الواعى فى عصر الدعوة الاسلامية الأول ، إلى المدنيات المعاصرة الزائفة ، و هـــذه النظرة التى يجب أن ينظر بها المؤمن الواعى اليوم إلى المدنية المعـاصرة الزائفة ، هذا الذى أريد أن أقوله اليوم و أتركه أمانة لكم فى هذه المدينـة الجميلة الزاهية ، العاصمة التى قفزت

www.abulhasanalinadwi.org

من الصحراء كزهرة جميلة ، فوصلت إلى هذه القمة من المدنية ، أريد أن أقوله هنا ، وأرسله إلى أقصى ما أستطيع أن أرسله إليه .

يجب أن ينظر العرب ، يجب أن ينظر المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، بهذه النظرة الواعية ، بهذه النظرة المؤمنة المملوءة بالاعتزاز ، إلى المدنية الزائفة المعاصرة التى تحيط بنا . لسنا متطفلين ، لسنا أدعياء (١) ، لسنا من الذين لفظتهم الأرض ، ما لنا نسب ، ما لنا أصالة ، ما لنا تراث ، ما لنا حضارة ، ما لنا تاريخ ، ما لنا أجداد و لا أمجاد ، لا ، لا ، أيها السادة ! إننا أغنياء ، إننا معلمون للعالم ، إننا موجهون للأمم ، لكن ما هو الواقع المرير الأليم ، الواقع أننا مسيرون لا مخيرون ، أننا موجهون - بفتح الجيم - لا موجهون - بكسر الجيم - إننا تلاميذ لا أساتذة ، إننا

(١) أدعياء : جمع دعى وهو المتهم فى نسبه ، والذى يدعى غير أبيه أو غير قومه .

www.abulhasanalinadwi.org

متطفلون ، لسنا أصحاب موائد ، وأصحاب كرم ، لسنا أصحاب شخصية .

وجزى الله المؤرخين العرب المسلمين الذين حفظوا هذه الكلمة الخالدة التى تلقى الأضواء على شخصية العرب الأولين الذين أكرمهم الله تعالى بالرسالة الاسلامية الخالدة ، و التى كانوا معتزين بها كل الاعتزاز ، مكتفين بها كل الاكتفاء ، و كانوا يعتبرونها أفضل من كل شئ ، و كانوا يرون أن الشئ الذى لا ينبع من هذا المصدر ، و لا يرجع إلى هذا الأصل ، إنه شئ لاقرار له ، و إنه شئ لا قيمة له .

هكذا يجب أن يكون موقفنا إزاء المدنيات ، إزاء التحديات الجديدة التى تتحدانا بها هذه المدنية ، وهذه الفلسفات المعاصرة ، ليكن موقفنا موقف عملاق معتد بكرامته ، معتز بشخصيته و رسالته ، مستخدم لعقله ومواهبه ، حر فى رفضه وقبوله ، مقتبس منها ما ينفعه و لا يضره ، ويطابق أهدافه

www.abulhasanalinadwi.org

و مثله و لا ينافيها ، و يضفى عليه قوة جديدة ، ولا يوهن هيكله و يخره ، لا موقف قزم فقد الثقة و خسر الايمان ، وتضاءل وانضوى أمام كل شبح من أشباح القوة والسلطان ، و أحب الحياة و أشفق من الموت ، و بعد عن ميدان المغامرة و الطموح ، و الأصالة و الابتكار ، و الامامة والقيادة ، فهو ينظر إلى المدنية المعاصرة الزائفة كما ينظر طفل صغير واقف فى سفح جبل ، إلى قلته ، يتمنى لو ارتقى إليها .

و أختم حديثى هذا بمقطوعة شعرية لشاعر الاسلام الدكتور محمد إقبال ، خاطب فيها الشباب المسلم المثقف ، الذى سحرته المدنية الغربية ، فجهل شخصيته ، و جهل أبعادها ، و أعماقها ، و مضمراتها و مكنوناتها ، فعشق المادة ، وعاش فى خوف من الموت ، يقول :

« عجباً لك أيها المسلم ! تجلت لك الآفاق ، و غابت عنك نفسك ، إلى متى تظل غافلا جاهلا ، و تجلس ضائعاً

www.abulhasanalinadwi.org

عاطلا ، إنك نور قديم ، فأنر به الليل البهيم ، فى كمك اليد البيضاء ، فاعمل بها عمل الكليم (١) ، تخط حـدود الآفاق الضيقة ، فأنت السابق لها ، و الفـائق عليها ، فقد كنت و لم تكن ، و ستكون و لا تكون ، هل تخاف الموت أيها الانسان الحى الخالد ؟ لقد كان جديراً بالموت أن يخافك ، فأنت تكمن له وترصد به ، اعلم يقيناً ، أن الكريم إذا وهب شيئاً لا يسلبه ، ولا يسترده ، و ليس حتف ابن آدم فى فراق الروح ، إنما حتفه فى ضعف الايمان والحرمان من اليقين » (٢)

(١) يعنى بها موسى الكليم .

(٢) « روائع إقبال » ص ٩٨ بتعديل يسير .

www.abulhasanalinadwi.org

الرائد

عربية إسلامية نصف شهرية

يصدرها النادى العربى بدار العلوم ندوة العلماء

- رئيس المجلس : محمد الرابع الحسنى الندوى
- نائب الرئيس : سعيد الأعظمى النـــدوى
- رئيس التحرير : واضح رشيـــد النـــدوى

الاشتراكات السنوية

- ٢٢ روبية للهند
- وجنيهان ونصف جنيه استرلينى للخارج بالبريد السطحى
- خمسة جنيهات بالبريد الجوى

العنوان :

إدارة الرائد ، النصف الشهرية

دار العلوم ندوة العلماء ص. ب ٩٣ لكهنؤ (الهند)

www.abulhasanalinadwi.org

شهرية إسلامية جامعة

★ رئيس التحرير : محمد الحسنى

★ مدير التحرير : سعيد الأعظمى

المراسلات

العنوان : «البعث الاسلامى» ندوة العلماء لكهنؤ (الهند) ص.ب٩٣

برقياً : NADWA Lucknow ، الهاتف : ٩٢١٧٤ -٢٢٩٤٨

الاشتراكات السنوية

⊛ فى الهند : ٢٥ روبية ، ثمن النسخة : روبيتان و ٥٠ بيسة

⊛ فى العالم العربى : ٦ دولارات أمريكية أو ما يعادلها بالبريد العادى و ١٢ دولاراً بالبريد الجوى

⊛ فى أفريقيا الجنوبية و الشمالية و أمريكا و أوربا :

١٥ دولاراً بالبريد الجوى — ٦ دولارات بالبريد العادى .

⊛ فى باكستان : ٥٠ روبية بالبريد العادى مع أجرة البريد .

الاشتراكات فى باكستان ترسل إلى مجلة « البلاغ » كراچى رقم ١٤ - باكستان .

www.abulhasanalinadwi.org

رسائل و محاضرات للمؤلف

١— منهج أفضل للدعاة والعلماء .

٢— خليج بين الاسلام و المسلمين .

٣— ردة و لا أبا بكر لها .

٤— عاصفة يواجهها العالم الاسلامى و العربى .

٥— نحن الآن فى المغرب .

٦— تعالوا نحاسب نفوسنا و قادتنا .

٧— نظامان إلهيان للغلبة و الانتصار .

٨— مؤاساة أم مساواة ؟

٩— بين الصورة و الحقيقة .

١٠— إسمعى يا مصر .

١١— الفتح للعرب المسلمين .

١٢— إسمعى يا إيران .

١٣— كارثة العالم العربى .